مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهالى
التاريخ : ٧ فبراير ٢٠٠٨

مصر وإسرائيل وعملية توظيف حصار غزة

سياسة تصدير الأزمات

أحمد سيد حسن

من هو الطرف المسئول عن المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني في غزة؟ الإجابة لن تحتاج إلي أي جهد أو تردد، إنها إسرائيل التي تحاصر غزة وتمارس سياسة العقاب الجماعي ضد أهلها، وتقوم باعتداءات يومية علي الشعب الفلسطيني وتختار القيادات والكوادر لقتلهم في عمليات مخططة بدقة ومن خلال معلومات مباشرة يحصلون عليها من علي الأرض، وفي مقابل قتل قيادي واحد لا تتورع إسرائيل عن قتل عشرات آخرين لا يهم إن كانوا أطفالا أو نساء المهم استمرار تنفيذ عمليات الاغتيال.

وببساطة شديدة فقد أحالت إسرائيل الحياة في قطاع غزة إلي جحيم لا يطاق في ظل ممارسة سياسة العقاب الجماعي، وممارسة أكبر ضغوط ممكنة علي حركة حماس وحركات المقاومة المسلحة الأخري لإيقاف إطلاق صواريخ القسام التي تنهال علي مستعمرة سيدروت الإسرائيلية.

وتمارس إسرائيل الضغط أيضا علي السلطة الفلسطينية ورئيسها محمود عباس من خلال حصار غزة وضربها المتواصل بهدف خفض مستمر للتوقعات والمطالب الفلسطينية في المفاوضات متعددة الاتجاهات التي تجري حاليا، فعباس يتفاوض في ظل استمرار الاعتداءات الإسرائيلية الوحشية والتي لم تتوقف عند غزة فقط، وإنما طالت حتي الفلسطينيين في نابلس ورام الله تحت سمع وبصر قوات السلطة العاجزة عن توفير أدني حماية للشعب الفلسطيني عندما يتعلق الأمر بعمليات

القوات الإسرائيلية.

وتحت ضغوط أخري مثل الوعود الأمريكية بالعمل علي إقامة دولة فلسطينية، فإن السلطة الفلسطينية تحاول الحفاظ علي مسار التسوية السياسية مفتوحا في ظل ظروف أسوأ عشرات المرات من الأوضاع قبل مؤتمر أنابوليس للسلام، بارتفاع عدد الضحايا والمعتقلين واستمرار حالة الحصار والإغلاق والحواجز وهو ما أثر علي الاقتصاد الفلسطيني الذي يعيش حالة شلل فعلية، فاقمت الأحوال الاجتماعية المنهارة للشعب الفلسطيني في الضفة وغزة.

الضغط علي مصر

ولم تتوقف الخطط الإسرائيلية عند الضغط علي عباس والسلطة الفلسطينية وحصار وضرب حماس والشعب الفلسطيني في غزة، وتقسيم الشعب الفلسطيني إلي متطرف وإرهابي ومعتدل، وإنما امتدت عمليات الضغوط باتجاه مصر علي الرغم من وجود اتفاقية سلام معها. فإسرائيل التي نجحت في التخلص من عبء قطاع غزة، رغم أن القانون الدولي يلزمها كقوة احتلال بمسئولية كاملة تجاه إعاشة مواطنيها، تريد أن تلقي بعبء القطاع علي مصر.

ومنذ الوهلة الأولي فإن حسابات إسرائيل كانت ممارسة أقصي ضغط علي الفلسطينيين في غزة لدفعهم إما إلي البحر وهو مستحيل، أو عن مصر فتكشف فت الضغوط إلي حد قيام حركة حماس بتفجير الجدار الحدودي مع مصر، وإطلاق نصف مليون فلسطيني يعانون من أبشع صور ومظاهر الحصار نحو مصر.

والمشكلة أن القضية بالنسبة لمصر ليست إنسانية، فالمساعدات يمكن إيصالها

للفلسطينيين وهم في غزة وكذلك إمدادات الكهرباء والوقود وغيرها، ذلك أن الخلفية السياسية الأيديولوجية لحركة حماس كابن شرعي لجماعة الإخوان المسلمين المحظورة في مصر، تجعل منها خطرا علي الأمن القومي لمصر، التي لا تنظر بارتياح إلي وجود دولة ذات مرجعية إسلامية متطرفة علي حدودها، بما لذلك من تأثيرات علي المصريين الموجودين في محافظة شمال سيناء وبصفة

خاصة في العريش، وإذا تمت استعادة الأحداث الإرهابية التي وقعت في سيناء وخربت في طابا ونويبع ودهب وشرم الشيخ، فإن هناك صلات مباشرة بين ما يحدث في غزة من صعود للقوي الإسلامية المقاومة هناك وتلك الأحداث الإرهابية، سواء باستهداف إسرائيليين في سيناء، أو ضرب السياحة والمنشآت المصرية للضغط علي مصر ودفعها نحو تصعيد ضد إسرائيل سواء بطرد سفيرها وإغلاق السفارة، أو حتي إلغاء لمعاهدة السلام.

فتح الحدود

وجاء قرار مصر بفتح الحدود والتساهل مع دخول وخروج نصف مليون فلسطيني، بمثابة خطوة ناجحة من جانب مصر كشفت من خلالها مدي بشاعة الجرائم الإسرائيلية، وتحررت من الضغوط التي تقوم بها إسرائيل نحوها فيما يتعلق بقضية الأنفاق والمعابر وطرحت علي المجتمع الدولي قضية تنظ يم تلك المسائل، وكذلك أثبتت بالدليل الدامغ الحاجة إلي إعادة النظر في بنود كثيرة من معاهدة السلام، وخاصة ما يتعلق بعدد قوات الشرطة والأمن علي الحدود في المنطقة «أ».

وتحررت مصر من الضغوط الأمريكية هي الأخري بعد أن أظهرت عبر فتحها الحدود، مسئولية إسرائيل عن سياسة العقاب الجماعي للشعب الفلسطيني والمأساة التي يعيشها. كما أفشلت مصر محاولات الجناح المتشدد داخل حماس والذي كان يريد الضغط علي مصر وإحراجها محليا وعربيا، عبر التنسيق مع جماعة الإخوان بالذات في الداخل بتسيير المظاهرات الاحتجاجية، وأثبتت أن أي حل للقضية الفلسطينية وخاصة ما يتعلق بأحوال إلي قطاع غزة يجب أن تتم من خلال السياسة المصرية، وبالفعل أظهر رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل ورئيس الحكومة المقال إسماعيل هنية استعدادا مباشرا لاستئناف جلسات الحوار مع السلطة الفلسطينية ورئيسها محمود عباس في القاهرة.

والنتيجة أن سياسة الضغوط وتصدير التناقضات والأزمات في المنطقة، وخاصة بين مصر وإسرائيل قد شهدت مواجهة مثيرة هذا الأسبوع، وقد كسبت مصر عبر فتح الحدود وحين لم تنجر إلي محاولة الصراع مع الفلسطينيين، رغم ما يشاع عن وجود إرهابيين يحملون أحزمة ناسفة بينهم، وهو ما يعني أن عملية توظيف مأساة قطاع غزة ماتزال مستمرة وتحمل الكثير القادم من تطورات.

العودة إلي بروتوكول المعابر

وقد شهد الأسبوع الحالي عدة تطورات مهمة في محاولة لحل أزمة المعابر. وقامت مصر بإعادة السيطرة علي الحدود وبناء أسوار شائكة، ولكنها لم تمنع تسلل مئات من الفلسطينيين لشراء مواد غذائية وكل ما يمكن شراؤه، كما قامت مصر بمراقبة الجسور التي تربط سيناء – وغزة في ظل ما تردد عن تسلل عدد من الفلسطينيين حاملين أحزمة ناسفة لمواجهة احتمالات تنفيذ عمليات انتحارية أو تفجيرات ضد أهداف سياحية في سيناء.

طلبت إسرائيل من جميع مواطنيها العودة فورا من سيناء خوفا من قيام عمليات ضدهم.

استقبلت مع جميع أطراف الأزمة من الجانب الفلسطيني، حيث أجري الرئيس محمود عباس مباحثات مع الرئيس مبارك ، أظهرت رفض عباس القاطع إجراء أي حوار مع حركة حماس إلا بعد أن تعدل عن جميع إجراءاتها الانقلابية.

كما استقبلت القاهرة وفدا من قيادات حماس في الخارج (خالد مشعل وموسي أبو مرزوق) والداخل (سعيد صيام ومحمود الزهار)، وأظهرت المباحثات السرية استمرار الأزمة، حيث ترفض حماس العودة إلي اتفاق المعابر الذي كانت بمقتضاه تسيطر السلطة الفلسطينية علي معبر رفح مع وجود إشراف أوروبي.

ويلاحظ أن حركة حماس اعتذرت رسميا لمصر في الانتهاكات التي تمت علي الحدود، ومحاولة بعض الفلسطينيين رفع علم فلسطين علي مركز اتصالات مصري في الشيخ زويد، كما تعهدت حركة حماس بضبط الحدود مع مصر، وعدم القيام بعمليات تفجير أو إزالة الأسوار وحمايتها من الجانب الفلسطيني. والتوقف عن استفزاز الجنود المصريين علي الحدود، فيما يظهر أن حركة حماس تلقت

تحذيرات قوية من اللواء عمر سليمان مدير المخابرات المصرية .

وأظهر الموقف في مناقشات مجلس الأمن اعتراف من الدول الكبري بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ضد صواريخ حركة حماس، والتي لم تؤد علميا إلا إلي زيادة حالة الحصار المفروضة علي الشعب الفلسطيني، والخلط الدولي بين الإرهاب والمقاومة.

وفي ضوء تلك التطورات فأن القضية الفلسطينية دخلت منعطفا صعبا، فهناك مسار للتفاوض تحرص السلطة علي الاستمرار فيه، وهناك مسار للمقاومة تحرص حماس علي السير فيه وحدها، وهي تدمر أي فرص للسلام ولم تحقق أي إنجاز يذكر في إطار المقاومة المشروعة، سوي ايجاد مبررات مستمرة لإسرائيل لاتباع سياسة عقاب جماعي ضد الشعب الفلسطيني بأكمله، والقيام بغارات وهجمات وحشية في ظل ما يسمي بالتفهم الدولي، والعجز العربي عن ايقاف الانقسام المدمر بين الاشقاء الفلسطينيين أو الأخوة الأعداء وهو التعبير المناسب لوصف حركتي حماس وفتح، فيما الشعب الفلسطيني يدفع ثمن هذه الصراعات، وما حدث في رفح والعريش خير دليل علي ما يعانيه هذا الشعب.